العلم وفضله

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في فضل العلم والعلماء؟

ج: قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وفي «الصحيحين» من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» [أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما: عابد، والآخر: عالم، فقال رسول الله ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير**» [أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٥) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤٢١٣)].

وفي حديث آخر: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يرثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**» [أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢٢٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» برقم (٢١٢)].

قال الخطابي: في معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بسط الأجنحة.

الثاني: أنه بمعنى التواضع تعظيمًا لطالب العلم.

الثالث: أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة**» [أخرجه مسلم (٢٦٩٩)].

وكان بعض الحكماء يقول: ليت شعري، أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فات من أدرك العلم.

ومن فضائل التعليم ما أخرجاه في «الصحيحين» عن سهل بن سعد ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**» [أخرجه البخاري (٣٠٠٩)].

وقال ابن عباس: «**إن الذي يعلم الناس الخير تستغفر له كل دابة حتى الحوت في البحر**». فإن قيل ما وجه استغفار الحوت للمعلم؟ فالجواب: أن نفع العلم يعم كل شيء حتى الحوت، فإن العلماء عرفوا بالعلم ما يحل ويحرم، وأوصوا بالإحسان إلى كل شيء حتى المذبوح والحوت، فألهم الله تعالى الكل الاستغفار لهم جزاءً لحسن صنيعهم.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**» [أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)]، فإن الفقهاء أولي الفهم، كمثل البقاع التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ لأنهم علموا وفهموا، وفرعوا وعلَّموا. وغاية الناقلين الذين لم يرزقوا الفقه والفهم، أنهم كمثل الأجادب التي حفظت الماء فانتفع بما عندهم، وأما الذين سمعوا ولم يتعلموا ولم يحفظوا، فهم العوام الجاهلة.

وقال الحسن رحمه الله: لولا العلماء لسار الناس مثل البهائم.

وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: «**تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهوالأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة**».

س: وما هو العلم الواجب تعلمه على كل مسلم ومسلمة؟

ج: روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**».

قال الفقهاء: هو علم الفقه، إذ به يعرف الحلال والحرام.

وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها.

وقالت الصوفية: هو علم الإخلاص وآفات النفوس.

وقال المتكلمون: هو علم الكلام. إلى غير ذلك من الأقوال.

والمعاملة التي كلفها الله للعباد على ثلاثة أقسام: اعتقاد، وفعل، وترك.

فإذا بلغ الصبي، فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها، فإذا جاء وقت الصلاة وجب عليه تعلم الطهارة والصلاة، فإذا عاش إلى رمضان وجب عليه تعلم الصوم، فإن كان له مالًا وحال عليه الحول وجب عليه تعلم الزكاة، وإن جاء وقت الحج وهو مستطيع وجب عليه تعلم المناسك.

وأما التروك: فهو بحسب ما يتجدد من الأحوال، إذا لا يجب على الأعمى تعلم ما يحرم النظر إليه، ولا على الأبكم تعلم ما يحرمه من الكلام، فإن كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر ولبس الحرير، وجب عليه أن يعرف تحريم ذلك.

وأما الاعتقادات: فيجب عليه تعلم أركان الإيمان ونواقضه حتى يحذر الوقوع فيما يضاد الإيمان. وإن كان في بلد قد كثرت فيه البدع، وجب عليه أن يتلقن الحق،

كما لوكان تاجرًا في بلد شاع فيه الربا، وجب عليه أن يتعلم الحذر منه.

وينبغي أن يتعلم الإيمان بالبعث والجنة والنار. فبان بما ذكرنا أن المراد بطلب العلم الذي هو فرض عين: ما يتعين وجوبه على الشخص.

أما فرض الكفاية: فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب إذ هو ضروري في بقاء الأبدان على الصحة، والحساب، فإنه ضروري في قسمة المواريث والوصايا وغيرها.

فهذه العلوم لو خلا البلد عمن يقوم بها أثم أهل البلد، وإذا قام بها من تقوم به الكفاية سقط الفرض عن الباقين.

ولا يتعجب من قولنا: أن الطب والحساب من فروض الكفاية، فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفاية، كالفلاحة والحياكة.

وأما التعميق في دقائق الحساب، ودقائق الطب وغير ذلك، فهذا يعد فضيلة، لأنه يستغنى عنه.

وقد يكون بعض العلوم مباحًا، كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار.

وقد يكون بعضها مذمومًا، كعلم السحر، والطلسمات، والتلبيسات.

فأما العلوم الشرعية فكلها محمودة، وتنقسم إلى أصول، وفروع ومقدمات ومتممات.

فالأصول: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة.

والفروع: ما فهم من هذه الأصول من معان تنبهت لها العقول حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره، كما فهم من قوله: «**لا يقضي القاضي وهو غضبان**» [أخرجه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧)] أنه لا يقضي جائعًا.

والمقدمات: هي التي تجري مجرى الآلات، كعلم النحو واللغة، فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والمتممات: كعلم القراءات، ومخارج الحروف، وكالعلم بأسماء رجال الحديث وعدالتهم وأحوالهم، فهذه هي العلوم الشرعية، وكلها محمودة.

علم المعاملة

فأما علم المعاملة وهو علم أحوال القلب، كالخوف، والرجاء، والرضا، والصدق، والإخلاص، وغير ذلك، فهذا العلم ارتفع به كبار العلماء، وبتحقيقه اشتهر ذكرهم، كسفيان الثوري، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

وإنما انحطت رتبة المسمين بالفقهاء والعلماء عن تلك المقدمات، لتشاغلهم بصور العلم من غير أخذ على النفس أن تبلغ إلى حقائقه وتعمل بخفاياه.

وأنت تجد الفقيه يتكلم في الظهار، واللعان، والسبق، والرمي، ويفرع التفرعات التي تمضي الدهور فيها ولا يحتاج إلى مسألة منها، ولا يتكلم في الإخلاص، ولا يحذر من الرياء، وهذا عليه فرض عين، لأن في إهماله هلاكه، والأول فرض كفاية. ولو أنه سئل عن علة ترك المناقشة للنفس في الإخلاص والرياء لم يكن له جواب. ولوسئل عن علة تشاغله بمسائل اللعان والرمي، لقال: هذا فرض كفاية، ولقد صدق، ولكن خفي عليه أن الحساب فرض كفاية أيضًا، فهلا تشاغل به، وإنما تبهرج عليه النفس؛ لأن مقصودها من الرياء والسمعة يحصل بالمناظرة، لا بالحساب.

واعلم: أنه قد بدلت ألفاظ وحرفت، ونقلت إلى معان لم يردها السلف الصالح.

فمن ذلك: الفقه، فإنهم تصرفوا فيه بالتخصيص، فخصوه بمعرفة الفروع وعللها، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول منطلقًا على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب.

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله: «**إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في**

الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الوَرِع الكاف عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لهم».

فكان إطلاقهم اسم الفقه على الآخرة أكثر؛ لأنه لم يكن متناولا للفتاوى، ولكن كان متناولا لذلك بطريق العموم والشمول، فثار من هذا التخصيص تلبيس بعض الناس على التجرد لعلم الفتاوى الظاهرة، والإعراض عن علم المعاملة للآخرة.

اللفظ الثاني: العلم فقد كان ذلك يطلق على العلم بالله تعالى وبآياته، أي نعمه وأفعاله في عباده، فخصوه وسموا به في الغالب المناظر في مسائل الفقه وإن كان جاهلا بالتفسير والأخبار.

اللفظ الثالث: التوحيد وقد كان ذلك إشارة إلى أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط فيثمر ذلك التوكل والرضا، وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام في الأصول، وذلك من المنكرات عند السلف.

اللفظ الرابع: التذكير والذكر. قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

فنقلوا ذلك إلى القصص وما يحتوي عليه اليوم مجلس القاص من الشطح والطامات، وهي من أشد ما يؤذي العوام.

اللفظ الخامس: الحكمة. والحكمة: العلم والعمل به.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يكون الرجل حكيمًا حتى يجمع العلم والعمل. وقد سار هذا الاسم يطلق في هذا الزمان على الطبيب والمنجم.

العلوم المحمودة

س: ما هي أقسام العلوم المحمودة؟

ج: اعلم أن العلوم المحمودة تنقسم إلى قسمين:

الأول: محمود إلى أقصى غاياته، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل. وهوالعلم بالله تعالى، وبصفاته، وأفعاله، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته، والتوصل به إلى سعادة الآخرة، وهو البحر الذي لا يدرك غوره، وإنما يحوم المحومون على سواحله وأطرافه بقدر ما يتيسر لهم.

القسم الثاني: العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص، وهي التي ذكرناها من فروض الكفايات، فإن في كل منهم افتقارًا واقتصارًا واستقصاءً.

فكن أحد رجلين: إما مشغول بنفسك، وإما متفرغًا لغيرك بعد الفراغ من نفسك.

وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، واشتغل بإصلاح باطنك وتطهيره من الصفات الذميمة، كالحرص، والحسد، والرياء، والعجب، قبل إصلاح ظاهرك.

فإن لم تتفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات، فإن في الخلق كثيرًا يقومون بذلك، فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه، ومثله من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب عن غيره. فإن تفرغت من نفسك وتطهيرها، وما أبعد ذلك، فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج في ذلك.

فابتدأ بكتاب الله ﷻ، ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بعلوم القرآن: من التفسير، ومن ناسخ ومنسوخ، وحكم ومتشابه، إلى غير ذلك.

وكذلك في السنة، ثم اشتغل بالفروع، وأصول الفقه، وهكذا بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت.

ولا تستغرق عمرك في فن منها للاستقصاء، فإن العلم كثير، والعمر قصير، وهذه العلوم آلات يراد بها غيرها، وكل شيء يطلب لغيره، فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب.

آداب المعلم والمتعلم

س: وضح بعض آداب المتعلم؟

ج: المتعلم ينبغي له تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات؛ إذ العلم عبادة القلب.

وينبغي له قطع العلائق الشاغلة، فإن الفكرة متى توزعت قصرت عن إدراك الحقائق.

وقد كان السلف يؤثرون العلم على كل شيء، فروى عن الإمام أحمد رحمه الله: أنه لم يتزوج إلا بعد الأربعين.

وأهديت إلى أبي بكر الأنباري جارية: «**فلما دخلت عليه تفكر في استخراج مسألة فعزبت عنه، فقال: أخرجوها إلى النخاس، فقالت: هل من ذنب؟ قال: لا، إلا أن قلبي اشتغل بك، وما قدر مثلك أن يمنعني علمي**».

وعلى المتعلم أن يتواضع لمعلمه، ويبالغ في خدمته، وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما: «**يأخذ بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء**».

وينبغي أن يحترز الخائض في العلم في بداية الأمر من الإصغاء إلى اختلاف الناس، فإن ذلك يحير عقله ويفتر ذهنه.

وينبغي له أن يأخذ من كل شيء أحسنه؛ لأن العمر لا يتسع لجميع العلوم، ثم يصرف قوته إلى أشرف العلوم، وهوالعلم المتعلق بالآخرة فهذه وظائف المتعلم.

وأما المعلم فعليه وظائف أيضًا: من ذلك الشفقة على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه، ولا يطلب على إفاضة العلم أجرًا، ولا يقصد به جزاءً ولا شكرًا، بل يعلم لوجه الله تعالى، ولا يرى لنفسه منة على المتعلمين، بل يرى الفضل لهم إذ يهيؤوا قلوبهم للتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلم فيها، فهم كالذي يعير الأرض لمن يزرع فيها.

فلا ينبغي أن يطلب المعلم الأجر إلا من الله تعالى. وقد كان السلف يمتنعون من قبول هدية المتعلم.

ومنها أن لا يدخر من نصح المتعلم شيئًا، وأن يزجره عن سوء الأخلاق بطريق التعريض مهما أمكن، لا على وجه التوبيخ، فإن التوبيخ يهتك حجاب الهيبة.

ومنها: أن ينظر في فهم المتعلم ومقدار عقله، فلا يلقي إليه مالا يدركه فهمه ولا يحيط به عقله.

وقال الشافعي رحمه الله:

أأنثر درًا بين سارحة النعم ... أأنظم منثورًا لراعية الغنم

ومن منح الجهال علمًا أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ومنها أن يكون المعلم عاملًا بعلمه. ولا يكذب قوله فعله. قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال علي رضي الله عنه: «**قصم ظهري رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسك**».

آفات العلم

س: وما المقصود بعلماء السوء؟

ج: علماء السوء: هم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا، والتوصل إلى المنزلة عند أهلها.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» [أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد في مسنده (٨٢٥٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٥٩)]. «**عرف الجنة**» يعني ريحها.

وقال بعض السلف: أشد الناس ندامة عند الموت عالم مفرط.

واعلم: أن الواجب على العالم أن يقوم بالأوامر والنواهي، وليس عليه أن يكون زاهدًا أومعرضًا عن المباحات، إلا أنه ينبغي له أن يتقلل من الدنيا مهما استطاع؛ لأنه ليس كل جسم يقبل التعلل، فإن الناس يتفاوتون.

وروى أن سفيان الثوري رحمه الله: «**كان حسن المطعم. وكان يقول: إن الدابة إذا لم يحسن إليها في العلف لم تعمل**».

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «**يصبر من خشونة العيش على أمر عظيم**». والطباع تتفاوت.

س: وما هي صفات علماء الآخرة؟

ج: من صفات علماء الآخرة أن يعلموا أن الدنيا حقيرة، وأن الآخرة شريفة. وأنهما كالضرتين، فهم يؤثرون الآخرة، ولا تخالف أفعالهم أقوالهم، ويكون ميلهم إلى العلم النافع في الآخرة، ويجتنبون العلوم التي يقل نفعها إيثارًا لما يعظم نفعه، كما روي عن شقيق البلخي رحمه الله أنه قال لحاتم: قد صحبتني مدة، فماذا تعلمت؟ قال: ثمانية مسائل:

أما الأولى: فإني نظرت إلى الخلق، فإذا كل شخص له محبوب، فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه، فجعلت محبوبي حسناتي لتكون في القبر معي.

وأما الثانية: فإني نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] فأجهدتها في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

وأما الثالثة: فإني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه، ثم نظرت من قوله ﷻ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فكلما وقع معي شيء له قيمة، وجهته إليه ليبقى لي عنده.

وأما الرابعة: فإني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف، وليست بشيء، فنظرت في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فعملت في التقوى لأكون عنده كريمًا.

وأما الخامسة: فإني رأيت الناس يتحاسدون، فنظرت في قوله تعالى ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢] فتركت الجسد.

والسادسة: رأيتهم يتعادون، فنظرت في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] فتركت عداوتهم واتخذت الشيطان وحده عدوًا.

والسابعة: رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق، فنظرت في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

والثامنة: رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم، فتوكلت على الله تعالى:

ومن صفات علماء الآخرة: أن يكونوا منقبضين عن السلاطين، محترزين من مخالطتهم.

قال حذيفة رضي الله عنه: «**إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، و يقول ما ليس فيه**».

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: «**إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء، فاحذروا منه فإنه لص**».

وقال بعض السلف: إنك لم تصب من دنياهم شيئًا إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

ومن صفات علماء الآخرة: أن لا يتسرعوا في الفتوى، وأن لا يفتوا إلا بما يتقنون صحته.

وقد كان السلف يتدافعون الفتوى حتى ترجع إلى الأول.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله: «**أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ، ما أحد يُسأل عن حديث أو فتوى إلا ود أن أخاه كفاه ذلك. ثم قد آل الأمر إلى إقدام أقوام يدعون العلم اليوم، يقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لجمع أهل بدر واستشارهم**».

ومن صفاتهم: أن يكون أكثر بحثهم في علم الأعمال عما يفسدها ويكد القلوب ويهيج الوساوس، فإن صور الأعمال قريبة سهلة، وإنما التعب في تصفيتها.

وأصل الدين: التوقي من الشر، ولا يصح أن يتوقى حتى يعرف.

ومن صفاتهم: البحث عن أسرار الأعمال الشرعية، والملاحظة لحكمها. فإن عجز عن الاطلاع على العلة كفاه التسليم للشرع.

ومن صفاتهم: اتباع الصحابة وخيار التابعين، وتوقي كل ما حدث.

الطهارة وأسرارها

س: ما هي مراتب الطهارة؟

ج: اعلم: أن الطهارة لها أربع مراتب:

الأول: تطهير الظاهر من الأحداث والأنجاس والفضلات.

والثانية: تطهير الجوارح من الذنوب والآثام.

والثالثة: تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة.

والرابعة: تطهير السر عما سوى الله تعالى، وهذا هو الغاية القصوى، فمن قويت بصيرته سمت إلى هذا المطلوب، ومن عميت بصيرته لم يفهم من مراتب الطاهرة إلا المرتبة الأولى، فتراه يضيع أكثر زمانه الشريف في المبالغة في الاستنجاء وغسل الثياب، ظنًا منه بحكم الوسوسة وقلة علمه أن الطهارة المطلوبة هي هذه فقط، وجهلًا بسير المتقدمين الذين كانوا يستغرقون الزمان في تطهير القلوب ويتساهلون في أمر الظاهر، كما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**أنه توضأ من جرة نصرانية**»، وكانوا لا يكادوا يغسلون أيديهم من الزهم ويصلون على الأرض، ويمشون حفاة، ويقتصرون في الاستجمار على الأحجار.

وقد انتهى الأمر إلى قوم يسمون الرعونة نظافة، فترى أكثر زمانهم يمضي في تزيين

الظواهر، وبواطنهم خراب محشوة بخبائث الكبر، والعجب، والجهل، والرياء، والنفاق، ولو رأوا مقتصرًا في الاستجمار على الحجر، أوحافيًا يمشي على الأرض، أو من يصلي عليها من غير حائل أومتوضأ من آنية عجوز، لأنكروا عليه أشد الإنكار، ولقبوه بالقذر، واستنكفوا من مؤاكلته.

فانظر كيف جعلوا البذاذة التي هي من الإيمان قذارة، والرعونة نظافة، وصيروا المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، لكن من قصد بهذه الطهارة النظافة ولم يسرف في الماء، ولم يعتقد أن استعمال الماء الكثير أصل الدين، فليس ذلك بمنكر، بل هو فعل حسن. وليرجع في معرفة الأنجاس والأحداث إلى كتب الفقه.

س: وما هي أنواع إزالة الفضلات؟

ج: إزالة الفضلات نوعان: النوع الأول: أوساخ تزال، كالذي يجتمع في الرأس من الوسخ والدرن، فيستحب تنظيفه بالغسل والترجيل والتدهين لإزالة الشعث، وكذلك ما يجتمع في الأذن والأنف من الوسخ يستحب إزالته.

ويستحب التسوك والمضمضة لإزالة ما على الأسنان واللسان من القلح، وكذلك وسخ البراجم والدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق، وذلك يزيله الغسل.

النوع الثاني من إزالة الفضلات: أجزاء تحذف، مثل قص الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة، وقص الأظافر، ويكره نتف الشيب، ويستحب خضابه.

فضائل الصلاة

س: تحدث عن فضل الصلاة؟

ج: الصلاة عماد الدين وغرة الطاعات. وقد ورد في فضائل الصلاة أخبار كثيرة مشهورة، ومن أحسن آدابها الخشوع.

وقد روى عن عثمان بن عفان ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله**» [أخرجه مسلم (٢٢٨)].

وله في حديث أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلى ركعتين لم يحدث فيها نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه**» [أخرجه البخاري، ومسلم (٢٢٦)].

س: اذكر طرفًا من خشوع السلف في الصلاة؟

ج: كان عبد الله بن الزبير ﷺ إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جزع حائط.

وقال ميمون بن مهران: «**ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتًا في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدتها، وإنه في المسجد فما انفلت، وكان أهل بيته إذا دخل المنزل سكتوا، فإذا قام إلى الصلاة تكلموا وضحكوا**».

وكان علي بن الحسن ﷺ: «**إذا توضأ اصفر لونه، فقيل له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم**».

س: وما هو روح الصلاة؟

ج: اعلم: أن للصلاة أركانًا وواجبات وسننًا، وروحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب، فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال، ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة، لأن النطق إذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال، لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم، ولم يكن القلب حاضرًا، لم يحصل المقصود، فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بها، قال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧] والمقصود أن الواصل إلى الله ﷻ هو الوصف الذي استولى على القلب

حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة، فلا بد من حضور القلب في الصلاة، ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ، لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها.

س: ما هي المعاني التي يتم بها الخشوع في الصلاة؟

ج: **المعنى الأول**: حضور القلب كما ذكرنا، ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له، وسبب ذلك الهمة، فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة، وانصراف الهمة يقوي ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة، فاعلم أن سببه ضعف الإيمان، فاجتهد في تقويته.

والمعنى الثاني: التفهم لمعنى الكلام فإنه أمر وراء حضور القلب؛ لأنه ربما كان القلب حاضرًا مع اللفظ دون المعنى، فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها، فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها.

والمواد، إما ظاهرة، وهي ما يشغل السمع والبصر، وهو القرب من القبلة، والنظر إلى موضع سجوده، والاحتراز في الصلاة من المواضع المنقوشة، وأن لا يترك عنده ما يشغل حسه، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى في انبجانية لها أعلام نزعها وقال: «**إنها ألهتني آنفًا عن صلاتي**» [أخرجه البخاري (٧٥٢)، ومسلم (٥٥٦)].

وإن كان من المواد الباطنة، فطريق علاجه أن يرد النفس قهرًا إلى ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره، ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة، بأن يقضي أشغاله، ويجتهد في تفريغ قلبه، ويجدد على نفسه ذكر الآخرة، وخطر القيام بين يدي الله ﷻ وهول المطلع، فإن لم تسكن الأفكار بذلك، فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه، فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق.

واعلم: أن العلة متى تمكنت لا ينفعها إلا الدواء القوي، والعلة إذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها إلى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة، ومثل ذلك كمثل رجل تحت

شجرة أراد أن يصفو له فكره، وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفي يده خشبة يطيرها بها، فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها، فقيل له هذا شيء لا ينقطع، فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة، فكذلك شجرة الشهوة إذا علت وتفرقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار كانجذاب العصافير إلى الأشجار والذباب إلى الأقذار، فذهب العمر النفيس في دفع ما لا يندفع، وسبب هذه الشهوة التي توجب هذه الأفكار حب الدنيا.

قيل لعامر بن عبد قيس رَحِمَهُ اللَّهُ: هل تحدثك نفسك بشيء من أمور الدنيا في الصلاة؟ فقال: لأن تختلف الأسنة في أحب إلى من أجد هذا.

واعلم: أن قطع حب الدنيا من القلب أمر صعب، وزواله بالكلية عزيز، فليقع الاجتهاد في الممكن منه، والله الموفق المعين.

المعنى الثالث: التعظيم لله والهيبة، وذلك يتولد من شيئين: معرفة جلال الله تعالى وعظمته، ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة، فيتولد من المعرفتين: الاستكانة، والخشوع.

ومن ذلك الرجاء: فإنه زائد على الخوف، فكم من معظم ملكًا يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره.

والمصلي ينبغي أن يكون راجيًا بصلاته الثواب، كما يخاف من تقصيره العقاب.

وينبغي للمصلي حضور قلبه عند كل شيء من الصلاة، فإذا سمع المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة، ولينظر ماذا يجيب، وبأي بدن يحضر. وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق، وليس لها عنه ساتر، وأنها يكفرها الندم، والحياء، والخوف.

وإذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف

عن غيرها، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه.

إذا كبرت أيها المصلي، فلا يكذبن قلبك لسانك، لأنه إذا كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى.

فإذا استعذت، فاعلم أن الاستعاذة هي لجأ إلى الله سبحانه، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغوًا، وتفهم معنى ما تتلو، وأحضر التفهم بقلبك عند قولك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، واستحضر لطفه عند قولك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وعظمته عند قولك: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وكذلك في جميع ما تتلو.

وقد روي عن زرارة بن أبي أوفى رضي الله عنه: «**أنه قرأ في صلاته**: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] **فخر ميتًا**»، وما ذاك إلا لأنه صور تلك الحال فأثرت عنده التلف.

واستشعر في ركوعك التواضع، وفي سجودك زيادة الذل؛ لأنك وضعت النفس موضعها، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه وتفهم معنى الأذكار بالذوق.

واعلم: أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ، وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود، وتطلع على أسراره وما يعقلها إلا العالمون.

فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها، فإنه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده.

صلاة الجمعة

س: اذكر بعض الآداب المتعلقة بيوم الجمعة وصلاة الجمعة؟

ج: هي نحو من خمسة عشر:

أحدها: أن يستعد لها من يوم الخميس وفي ليلة الجمعة، بالتنظيف، وغسل الثياب، وإعداد ما يصلح لها.

الثاني: الاغتسال في يومها، كما جاء في الأحاديث في «الصحيحين» [أخرجه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)]. والأفضل في الاغتسال أن يكون قبيل الرواح إليها.

الثالث: التزين بتنظيف البدن، وقص الأظافر، والسواك، وغير ذلك مما تقدم من إزالة الفضلات، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه.

الرابع: التبكير إليها ماشيًا. وينبغي للساعي إلى الجامع أن يمشي بسكون وخشوع، وينوي الاعتكاف في المسجد إلى وقت خروجه.

الخامس: أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يفرق بين اثنين إلا أن يرى فرجة فيتخطى إليها.

السادس: أن لا يمر بين يدي المصلي.

السابع: أن يطلب الصف الأول، إلا أن يرى منكرًا أويسمعه فيكون في التأخر عذرًا.

الثامن: أن يقطع النفل من الصلاة والذكر عند خروج الإمام، ويشتغل بإجابة المؤذن، ثم بسماع الخطبة.

التاسع: أن يصلي السنة بعد الجمعة إن شاء ركعتين، وإن شاء أربعًا، وإن شاء ستًا.

العاشر: أن يراقب الساعة الشريفة التي في يوم الجمعة بإحضار القلب وملازمة الذكر.

واختلف في هذه الساعة، ففي أفراد مسلم من حديث أبي موسى ﷺ: «**أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضي الصلاة**» [أخرجه مسلم (٨٥٢)، قال الألباني في «رياض الصالحين» (ص٤٢٥): «صحح الأئمة وقفه على أبي موسى الأشعري ومنهم الإمام الدارقطني»]. وفي حديث آخر: «**هي ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تقضي الصلاة**» [أخرجه

الترمذي (٤٩٠)، وابن ماجه (١١٣٨) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة، وفيه: كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، قال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٤٢٣): «وقال أبونعيم: ضعفه علي بن المديني، وقال ابن سعد: كان قليل الحديث، يستضعف، وقال ابن السكن: يروى عن أبيه عن جده أحاديث فيها نظر، وقال الحاكم: حدث عن أبيه، عن جده نسخة فيها مناكير، وضعفه الساجي، ويعقوب بن سفيان، وابن البرقي، وقال ابن عبد البر: مجمع على ضعفه»، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» برقم (١٨٩٠)]. وفي حديث جابر رضي الله عنه: «**أنها آخر ساعة بعد العصر**». وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: «**التمسوها ما بين صلاة العصر وغروب الشمس**» [أخرجه أبو داود (١٠٤٨) كتاب الصلاة - باب الإجابة آية ساعة هي يوم الجمعة، والنسائي (١٣٨٩) كتاب الجمعة - باب وقت الجمعة، وهو حديث حسن].

وقال أبوبكر الأثرم رحمه الله: لا تخلو هذه الأحاديث من وجهين: إما أن يكون بعضها أصح من بعض، وإما أن تكون هذه الساعة تنتقل في الأوقات كتنقل ليلة القدر في ليالي العشر.

الحادي عشر: أن يكثر من الصلاة على النبي ﷺ في هذا اليوم

الثاني عشر: أن يقرأ سورة الكهف.

س: ما هي الأوقات المنهي عن التطوع بالصلاة فيها؟

ج: لا يتطوع في أوقات النهي بصلاة لا سبب لها كصلاة التسبيح؛ لأن النهي مؤكد فيها عن الصلاة، وهذه الأشياء ضعيفة فلا تقاومه. وأما ما له سبب، كتحية المسجد، وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحوها، فعلى روايتين.

س: ما هي أسرار النهي عن صلاة التطوع في أوقات الكراهة؟

ج: النهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة له ثلاثة أسرار:

أحدها: ترك التشبه بعباد الشمس.

الثاني: التحذير من السجود لقرن الشيطان، فإن الشمس تطلع معها قرن

الشيطان، فإذا ارتفعت فارقها، فإذا استوت قارنها، فإذا زالت الشمس فارقها، فإذا تضايفت للغروب قارنها، فإذا غربت فارقها.

الثالث: أن سالكي طريق الآخرة مواظبون على العبادات، والمواظبة على نمط واحد يورث الملل، فإذا وقع المنع زاد النشاط؛ لأن النفس حريصة على ما منعت منه، فمنع الإنسان من الصلاة في أوقات النهي، ولم يمنع من نوع آخر من التعبد، كالقراءة، والتسبيح لينتقل العبد من حال إلى حال، كما جعلت الصلاة متنوعة بين قيام وقعود وركوع وسجود.

الزكاة وأسرارها

س: تحدث عن أهمية الزكاة ومنزلتها في الإسلام؟

ج: الزكاة: أحد مباني الإسلام، وقد قرنها الله ﷻ بالصلاة، فقال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

أما أنواع الزكاة، وأقسامها، وأسباب وجوبها، فظاهر مشهور في مظانه من كتب الفقه، وإنما نذكر هنا بعض الشروط والآداب.

س: ما هي شروط الزكاة؟

ج: من الشروط أن يُخرج المنصوص عليه، ولا يخرج القيمة في الصحيح، فإن من أجاز إخراج القيمة إنما تلمح سد الخلة فقط، وسد الخلة ليس هو المقصود بل بعضه، فإن واجبات الشرع ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعبد محض، كرمي الجمار، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر عبودية العبد بفعل ما لا يعقل له معنى، لأن ما لا يعقل معناه يساعد عليه الطبع ويدعو إليه، فلا يظهر خلوص العبودية به، بخلاف ما ذكرنا.

والقسم الثاني: عكس ذلك، وهو ما لا يقصد منه التعبد، بل المقصود منه حض

محض، كقضاء دين الآدميين، ورد المغصوب ونحو ذلك، وكذلك لا تعتبر فيه النية ولا الفعل، بل كيفما وصل الحق إلى مستحقه حصل المقصود وسقط خطاب الشرع، فهذان قسمان لا تركيب فيهما.

وأما القسم الثالث: فهو المركب، وهو أن يقصد منه الأمران جميعًا: امتحان المكلف، وحظ العباد، فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار، وحظ رد الحقوق، فلا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد، ولعل الأدق هو الأهم، والزكاة من هذا القبيل، فحظ الفقير مقصود في سد الخلة، وحق التعبد مقصود الشرع في اتباع التفاصيل، وبهذا الاعتبار صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج، والله أعلم.

دقائق الآداب الباطنة في الزكاة

س: اذكر بعض الآداب الخاصة بالمزكي؟

ج: اعلم: أن على ما يريد الآخرة في زكاته وظائف:

الأول: أن يفهم المراد من الزكاة، وهو ثلاثة أشياء: ابتلاء مدعي محبة الله تعالى بإخراج محبوبه، والتنزه عن صفة البخل المهلك، وشكر نعمة المال.

الوظيفة الثانية: الإسرار بإخراجها لكونه أبعد من الرياء والسمعة، وفي الإظهار إذلال للفقير أيضًا، فإن خاف أن يتهم بعدم الإخراج أعطى من المال لا يبالي من الفقر بالأخذ بين الجماعة علانية، وأعطى غيره سرًا.

الوظيفة الثالثة: أن لا يفسدها بالمن والأذى، وذلك أن الإنسان إذا رأى نفسه مُحسنًا إلى الفقير، منعمًا بالإعطاء، ربما حصل منه ذلك، ولو حقق النظر لرأي الفقير محسنًا إليه بقبول حق الله الذي هو طهرة له.

وإذا استحضر مع ذلك أن إخراجه للزكاة شكر لنعمة المال، فلا يبقى بينه وبين الفقير معاملة. ولا ينبغي أن يحتقر الفقير لفقره، لأن الفضل ليس بالمال ولا النقص

بعدمه.

الوظيفة الرابعة: أن يستصغر العطية، فإن المستعصم للفعل معجب به. وقد قيل: لا يتم المعروف إلا بثلاث: بتصغيره، وتعجيله، وستره.

الوظيفة الخامسة: أن ينتقي من ماله أحله وأجوده وأحبه إليه، أما الحل، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا. وأما الأجود، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وينبغي أن يلاحظ في ذلك أمرين: أحدهما: حق الله ﷻ بالتعظيم له، فإنه أحق من اختير له، ولوأن الإنسان قدم إلى ضيفه طعامًا رديئًا لأوغر صدره.

والثاني: حق نفسه، فإن الذي يقدمه هو الذي يلقاه غدًا في القيامة، فينبغي أن يختار الأجواد لنفسه.

وأما أحبه إليه، فلقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما: «**إذا اشتد حبه لشيء من ماله قربه لله** ﷻ».

وروي: «**أنه نزل الجحفة وهو شاكٍ، فقال: إني لأشتهي حيتانًا، فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتًا، فأخذته امرأته فصنعته ثم قربته إليه، فأتى مسكين، فقال ابن عمر** رضي الله عنهما: **خذه، فقال له أهله: سبحان الله قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه، فقال: إن عبد الله يحبه**».

وروي أن سائلًا وقف بباب الربيع بن خيثم رحمة الله عليه فقال: اطعموه سكرًا، فقالوا: نطعمه خبزًا أنفع فقال: ويحكم أطعموه سكرًا، فإن الربيع يحب السكر.

الوظيفة السادسة: أن يطلب لصدقته من تزكو به، وهم خصوص من عموم الأصناف الثمانية، ولهم صفات:

الأولى: التقوى، فليخص بصدقته المتقين فإنه يرد بها هممهم إلى الله تعالى.

وقد كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتخير العُبَّادُ وهم سجود، فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم، فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه،

فقيل له: ما يمنعك أن ترسل بها إليهم؟ فيقول: أكره أن يتمعر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولي أو لقيني.

الثانية: العلم، فإن في إعطاء العالم إعانة على العلم ونشر الدين، وفي ذلك تقوية للشريعة.

الثالثة: أن يكون ممن يرى الإنعام من الله وحده ولا يلتفت إلى الأسباب إلا بقدر ما ندب إليه من شكرها، فأما الذي عادته المدح عند العطاء، فإنه سيذم عند المنع.

الرابعة: أن يكون صائنًا لفقره، ساترًا لحاجته، كاتمًا للشكوى، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وهؤلاء لا يحصلون في شبكة الطالب إلا بعد البحث عنهم، وسؤال أهل كل محلة عمن هذه صفته.

الخامسة: أن يكون ذا عائلة، أومحبوسًا لمرض أودين، فهذا من المحصرين، والتصدق عليه إطلاق لحصره.

السادسة: أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام، فإن الصدقة عليهم صدقة وصلة، وكل من جمع من هذه الخلال خلتين أو أكثر كان إعطاؤه أفضل على قدر ما جمع.

آداب القابض للزكاة

س: وضح بعض الآداب المتعلقة بقابض الزكاة؟

ج: لابد أن يكون آخذ الزكاة من الأصناف الثمانية، وعليه في ذلك أمور:

- أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه، وليكن ذلك بمقدار شكر السبب، فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، كما ورد في الحديث. ومن تمام الشكر أن لا يحتقر العطاء وإن قل، ولا يذمه، ويغطي ما فيه من عيب، وكما أن وظيفة المعطي

الاستصغار فوظيفة المعطي الاستعصام، وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله ﷻ. فإن من لا يرى الواسطة واسطة، فهو جاهل، وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلًا.

- أن ينظر فيما يعطاه، فإن لم يكن من حل لم يأخذه أصلًا، لأن إخراج مال الغير ليس بزكاة، وإن كان من شبهة تورع عنه، إلا أن يضيق عليه الأمر، فمن كان أكثر كسبه حرامًا، فأخرج الزكاة ولم يعرف لما أخرجه مالك معين، كانت الفتوى فيه أن يتصدق به، فيجوز لهذا الفقير أن يأخذ قدر حاجته عند ضيق الأمر عليه وعجزه عن الصافي.

- أن يتوقى الشبه في قدر ما يأخذ، فيأخذ القدر المباح له،ولا يأخذ أكثر من حاجته. فإن كان غارمًا لم يزد على مقدار الدين، أوغازيًا لم يأخذ إلا مقدار ما يحتاج إليه، وإن أخذ بالمسكنة أخذ قدر حاجته دون ما يستغني عنه، وكل ذلك موكول إلى اجتهاده، والورع ترك ما يريب.

س: ما هو قدر الغنى المانع من أخذ الزكاة؟

ج: اختلف العلماء في قدر الغني المانع من الزكاة، والصحيح فيه أن يكون له كفاية على الدوام، إما من تجارة، أو صناعة، أو أجر عقار، أوغير ذلك، وإن كان له بعض الكفاية أخذ ما يتممها، وإن لم يكن له ذلك أخذ ما يكفيه. وليكن ما يأخذه بقدر ما يكفي سنته ولا يزيد على ذلك، وإنما اعتبر بالسنة، لأنها إذا ذهبت جاء وقت الأخذ، وإذا أخذ الأكثر منها ضيق على الفقراء.

صدقة التطوع فضلها وآدابها

س: ما هي فضائل الصدقة؟

ج: فضائل الصدقة كثيرة مشهورة:

منها: ما روى البخاري من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله**»؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «**فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر**» [أخرجه البخاري (٦٤٤٢)].

وفي «الصحيحين» من رواية أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**» [أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)].

وفي أفراد مسلم، من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما نقصت صدقة من مال**» [أخرجه مسلم (٢٥٨٨)]. وروي عن عائشة ﷺ أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ: «**ما بقي منها؟**» فقالت: ما بقي منها إلا كتفها، فقال: «**بقي كلها إلا كتفها**» [أخرجه الترمذي (٢٤٧٠) وقال: حديث صحيح، وصححه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٩١٩)].

س: أيهما أفضل للفقير الأخذ من الزكاة أم من الصدقة؟

ج: اختلفوا: أيما أفضل للفقير، أن يأخذ من الزكاة، أومن الصدقة. فقال قوم: من الزكاة أفضل، وقال آخرون: من الصدقة أفضل.

س: وما هي أفضل الصدقة؟

ج: عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ، أي الصدقة أفضل؟ قال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان**» [أخرجه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢)]. أخرجاه في «الصحيحين».

الصوم وأسراره

س: وضح طرفًا من فضل الصوم ومنزلته؟

ج: في الصوم خصيصة ليست في غيره، وهي إضافته إلى الله ﷻ حيث يقول سبحانه: «**الصوم لي وأنا أجزي به**» [أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)]. «لي» بهذه الإضافة شرفًا، كما شرف البيت بإضافته إليه في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦].

وإنما فضل الصوم لمعنيين:

أحدهما: أنه سر وعمل باطن، لا يراه الخلق ولا يدخله رياء.

الثاني: أنه قهر لعدو الله؛ لأن وسيلة العدو الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، وما دامت أرض الشهوات مخصبة، فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى، وترك الشهوات تضيق عليهم المسالك. وفي الصوم أخبار كثيرة تدل على فضله وهي مشهورة.

سنن الصوم

س: اذكر بعضًا من سنن الصوم ومستحباته؟

ج: يستحب السحور، وتأخيره، وتعجيل الفطر، وأن يفطر على التمر.

ويستحب الجود في رمضان، وفعل المعروف، وكثرة الصدقة، اقتداء برسول الله ﷺ.

ويستحب دراسة القرآن والاعتكاف في رمضان: لا سيما في العشر الأواخر، وزيادة الاجتهاد فيه.

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ إذا دخل**

العشر -يعني الأخير-، **شد مئزره، وأحيا الليل، وأيقظ أهله**» [أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤)].

ذكر العلماء في معنى شد المئزر وجهين:

أحدهما: أنه الإعراض عن النساء.

الثاني: أنه كناية عن الجد والتشمير في العمل. قالوا: وكان سبب اجتهاده في العشر طلب ليلة القدر.

بيان أسرار الصوم وآدابه

س: ما هي مراتب الصوم؟

ج: للصوم ثلاث مراتب: صوم العموم. وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.

فأما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

وأما صوم الخصوص: فهو كف النظر، واللسان، واليد، والرجل، والسمع، والبصر، وسائر الجوارح عن الآثام.

وأما صوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة، والأفكار المبعدة عن الله تعالى، وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية.

فمن آداب صوم الخصوص: غض البصر، وحفظ اللسان عما يؤذي من كلام محرم أومكروه، أوما لا يفيد، وحراسة باقي الجوارح.

وفي الحديث من رواية البخاري، أن النبي ﷺ قال: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [أخرجه البخاري (١٩٠٣)].

ومن آدابه: أن لا يمتلئ من الطعام في الليل، بل يأكل بمقدار، فإنه ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه. ومتى شبع أول الليل لم ينتفع بنفسه في باقيه، وكذلك إذا شبع وقت السحر لم ينتفع بنفسه إلى قريب من الظهر، لأن كثرة الأكل تورث الكسل

والفتور، ثم يفوت المقصود من الصيام بكثرة الأكل، لأن المراد منه أن يذوق طعم الجوع، ويكون تاركًا للمشتهى.

س: وماذا عن صوم التطوع؟

ج: فأما صوم التطوع، فاعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، كصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان، وكصيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وعشر ذي الحجة، والمحرم.

وبعضها يتكرر في كل شهر، كأوله، وأوسطه، وآخره، فمن صام أول الشهر وأوسطه وآخره فقد أحسن. غير أن الأفضل أن يجعل الثلاثة أيام البيض [أخرجه البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١)].

وبعضها يتكرر في كل أسبوع وهو يوم الإثنين، ويوم الخميس [أخرجه الترمذي (٧٤٧)، والنسائي (٢٣٥٨)، وأحمد في مسنده (٢١٢٤٦)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٥٨٣)]. وأفضل صوم التطوع صوم داود عليه السلام، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا [أخرجه البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (١١٥٩)]. وذلك يجمع الثلاثة معان:

أحدها: أن النفس تعطي يوم الفطر حظها، وتستوفي في يوم الصوم تعبدها، وفي ذلك جمع بين مالها وما عليها، وهو العدل.

والثاني: أن يوم الأكل يوم شكر، ويوم الصوم يوم صبر، والإيمان نصفان: شكر وصبر.

والثالث: أنه أشق على النفس في المجاهدة، لأنها كلما أنست بحالة نقلت عنها.

فأما صوم الدهر: ففي أفراد مسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال: كيف بمن يصوم الدهر كله؟ فقال: «**لا صام ولا أفطر** -أو- **لم يصم ولم يفطر**» [أخرجه أبو داود (٢٤٢٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٢٣)]. وهذا محمول على من سرد الصوم في الأيام المنهي عن صيامها: فأما إذا **أفطر** يومي العيدين وأيام التشريق فلا بأس بذلك.

فقد روي عن هشام بن عروة رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أن أباه كان يسرد الصوم، وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تسرد**». وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**سرد أبو طلحة الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عامًا**».

واعلم: أن من رزق فطنة، علم المقصود، فحمل نفسه قدر ما لا يعجزه عما هو أفضل منه. فقد كان ابن مسعود قليل الصوم، وكان يقول: «**إذا صمت ضعفت عن الصلاة، وأنا أختار الصلاة على الصوم**». وكان بعضهم إذا صام ضعف عن قراءة القرآن، فكان يكثر الفطر حتى يقدر على التلاوة، وكل إنسان أعلم بحاله وما يصلحه.

الحج وأسراره

س: وضح بعض الآداب الخاصة لمن أراد الحج؟

ج: ينبغي لمن أراد الحج أن يبدأ بالتوبة، ورد المظالم، وقضاء الديون، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع، ويرد ما عنده من الودائع. ويستصحب من المال الحلال ما يكفيه لذهابه ورجوعه من غير تقتير، على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد، والرفق بالفقراء. ويستصحب ما يصلحه كالسواك، والمشط، والمرآة، والمكحلة.

ويتصدق بشيء قبل خروجه، وإذا اكترى فليظهر للجمال كل ما يريد أن يحمله من قليل وكثير. وقد قال رجل لابن المبارك: «**احمل لي هذه الرقعة إلى فلان، فقال: حتى أستأذن الجمال**».

وينبغي أن يلتمس رفيقًا صالحًا محبًا للخير معينًا عليه، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، إن ضاق صدره صبره.

وليؤمِّر الرفقاء عليهم أحسنهم خلقًا، وأرفقهم بالأصحاب، وإنما احتيج إلى التأمير لأن الآراء تختلف، فلا ينتظم التدبير، وعلى الأمير الرفق بالقوم، والنظر في